

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ
الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ
لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا﴾ [الكهف: 18]

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

الانتقال إلى
بيان ما في حال
أهل الكهف من
العبرة

لما ذكرت الآية السابقة بعض أحوال آيات الله العجيبة مع أصحاب الكهف؛ وذلك بتسخير حركة الشمس عند طلوعها وغروبها للحفاظ عليهم مما يفسد جسدكم ويؤثر في هيتهم، جاءت هذه الآية لتستكمل طرفاً آخر من بقية أحوالهم العجيبة، قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾.

ومن المناسبة أيضاً: لما نبّه سبحانه بقوله: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ على أن أمر الهداية والضلال بيده؛ تسليّة للنبي ﷺ وتثبيتاً أن يهلك نفسه بسبب عدم إيمان قومه - عطف على ما مضى بقيّة أمرهم فقال: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ الآية⁽¹⁾.

❖ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿وَتَحْسَبُهُمْ﴾: الحساب: استعمال العدد؛ كما في قوله تعالى: ﴿لَتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ﴾ [يونس: 5]، والحسيب والمحاسب: مَنْ يُحَاسِبُكَ، و(حَسِبَ) يُسْتَعْمَلُ فِي مَعْنَى الْكَفَايَةِ؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ [آل عمران: 173]، أي: كافينا هو، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [إبراهيم: 42]، وقوله: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ﴾ [العنكبوت: 2]، وقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 29/12.

يَسْبِقُونَا ﴿العنكبوت: 4﴾ - كلُّ ذلك مصدرُهُ الحُسْبَانُ⁽¹⁾، والحسبان كذلك أن يحكم لأحد النقيضين من أن يخطر الآخر بباله فيحسبه ويعقد عليه الإصبع، ويكون بعرض أن يعتريه فيه شك، ويقارب ذلك الظن، لكن الظن أن يخطر النقيضين بباله؛ فيغلب أحدهما على الآخر⁽²⁾.

(2) **﴿أَيْقَاطًا﴾**: (يقظ) أصلٌ يدلُّ على إثارة السَّاكنِ وتحريكه⁽³⁾، واليَقَظَةُ: التَّنَبُّهُ ضِدُّ النَّوْمِ⁽⁴⁾، واليَقِظُ هو المتنبِّهُ الْمُتَفَقِّطُ لِمَنْ يَتَرَبَّصُ بِهِ، وَتَيَقَّظَ فُلَانٌ لِلْأَمْرِ إِذَا تَنَبَّهَ، ويقالُ لِلَّذِي يَنُتِيرُ التُّرَابَ: (قد يَقْظُهُ)، إِذَا فَرَّقَهُ وَأَثَرَهُ⁽⁵⁾، و**﴿أَيْقَاطًا﴾** في قوله تعالى: **﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاطًا﴾**: جمعٌ يَقِظٌ؛ وهو المتنبِّهُ الْمُتَفَقِّطُ⁽⁶⁾.

(3) **﴿رُقُودًا﴾**: أصل (رقد) يدلُّ على النوم أو امتداد جسم، بثبات وسكون وإقامة طويلة⁽⁷⁾، والرُّقَادُ: المُسْتَطَابُ مِنَ النَّوْمِ القليل، يقالُ: رَقَدَ رُقُودًا، فهو راقِدٌ، والجمعُ: رُقُودٌ؛ كما في قوله تعالى: **﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾**، وإنَّما وصفهم بالرُّقُودِ مع كثرة منامهم؛ اعتبارًا بحال الموت، وذلك أَنَّهُم اعتقدوا موتهم، فكانَ ذلك النَّوْمُ قليلًا في جنبِ الموتِ⁽⁸⁾.

(4) **﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾**: قلبُ الشَّيْءِ: تصريفُهُ وصرفُهُ عن وجهٍ إلى وجهٍ، كقلبِ الثَّوبِ، وقلبِ الإنسانِ، أي: صرفِهِ عن طريقته؛ كما في قوله تعالى: **﴿وَالْيَهُ ثَقُلُوتٌ﴾** ﴿١١﴾ [العنكبوت: 21]، والانتقَابُ: الانصرافُ؛ كما في قوله تعالى: **﴿أَنقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾** [آل عمران: 144]، وتقلبُ الشَّيْءِ: تغييرُهُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، نحوُ: **﴿يَوْمَ ثَقُلَتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾** [الأحزاب: 66]، وتقلبُ الأمورِ: تدبيرُها والنَّظَرُ فيها؛ كما في قوله تعالى: **﴿وَقَلُّوا لَكَ الْأُمُورُ﴾** [التوبة: 48]، وتقلبُ اللهِ القُلُوبَ والبصائرَ: صرفُها مِنْ رَأْيٍ إِلَى رَأْيٍ؛ كقوله تعالى: **﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ﴾** [الأنعام: 110]، وتقلبُ اليدِ: عبارةٌ عن النَّدَمِ؛ كقوله تعالى: **﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفْيَهُ﴾** [الكهف: 42]⁽⁹⁾.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (حسب).

(2) الراغب، المفردات: (حسب).

(3) جبل، للعجم الاشتقاقي للوُضَل: (يقظ).

(4) الزبيدي، تاج العروس: (يقظ).

(5) ابن منظور، لسان العرب: (يقظ).

(6) ابن عطية، للحرر الوجيز: 3/ 503، والسمين، عمدة الحفاظ: (يقظ).

(7) جبل، للعجم الاشتقاقي للوُضَل: (رقد).

(8) الراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (رقد).

(9) الراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (قلب).

وللقلب أصل آخر: هو خالص الشيء وشريفه؛ كقلب الإنسان وغيره؛ لأنه أرفع شيء فيه⁽¹⁾، ومعنى المفردة: ﴿وَنُقَلِّبُھُمْ﴾: ونحركهم⁽²⁾.

(5) ﴿بَسِطْ﴾: (بسط) "أصل واحد؛ وهو امتداد الشيء في عرض أو غير عرض"⁽³⁾، وبَسَطَ الشيء: نَشَرَهُ وتوسيعه، ومنه يقال: بسط الثوب: نشره، ومنه: البساط، وهو اسم لكل مبسوط⁽⁴⁾، قال تعالى: ﴿وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۝١٩﴾ [نوح: 19]، والبساط: الأرض المتسعة، وبَسَطَ الكفَّ يستعمل تارة للطلب: نحو: ﴿إِلَّا كَبَسِطَ كَفِّهٖ إِلَى الْمَآءِ﴾ [البرد: 14]، وتارة للأخذ، نحو: ﴿وَالْمَلٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيھُمْ﴾ [الأنعام: 93]، وتارة للضرب؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمُ أَيْدِيھُمْ وَأَلَسْتُمْ بِالسَّوْءِ﴾ [المتحنة: 2]، وتارة للبدل والإعطاء؛ كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَآءُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [الأنعام: 64]، وبَسَطَ اليد: مدّها؛ كما في قوله تعالى هنا: ﴿وَكَلْبُھُمْ بِسِطٌ ذِرَاعِيْھِ بِالْوَصِيدِ﴾⁽⁵⁾.

(6) ﴿بِالْوَصِيدِ﴾: (وصد) أصل يدل على ضمَّ شيء إلى شيء⁽⁶⁾، و(أصد) لغة فيه، يقال: أوصدت الباب وأصدته، أي: أغلقته⁽⁷⁾، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ۝٨﴾ [الهمزة: 8]، بمعنى: مُطَبَّقَةٌ مَّغْلَقَةٌ، ويُقال: اسْتَوْصَدْتُ في الجبل، إذا اتَّخَذْتُ منه حظيرة من الحجارة للمال، والوصيد: الثَّيَابُ المتقارب الأصول⁽⁸⁾، والوصيد في قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُھُمْ بِسِطٌ ذِرَاعِيْھِ بِالْوَصِيدِ﴾، قيل: هو الباب، وقيل: هو فناء الكهف، وقيل: العتبة⁽⁹⁾.

(7) ﴿لَوَلَّيْتُ﴾: أصل (ولي): يدلُّ على قُرْبٍ، يُقال: تَبَاعَدَ بَعْدَ وَلِيٍّ، أي: قُرْبٍ، وَجَلَسَ مِمَّا يَلِينِي، أي: يُقَارِبُنِي⁽¹⁰⁾، وصيغة التضعيف مع التعديّة ب (عن) - ولو تقديرًا - تفيد الإدبار والتّباعّد، فيقال: وَلَّى وتولّى هاربًا توليةً إذا أدبرَ وذهبَ وفارق ما هو قريب، وولّى

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قلب).

(2) معجم ألفاظ القرآن الكريم: (قلب).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بسط).

(4) الجوهري، الصحاح: (بسط).

(5) الراغب، المفردات، والزبيدي، تاج العروس: (بسط).

(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وصد).

(7) الراغب، المفردات: (وصد)، والجوهري، الصحاح: (أصد، وصد).

(8) الراغب، المفردات: (وصد)، والجوهري، الصحاح: (أصد، وصد).

(9) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 624، والزمخشري، الكشاف: 2/ 709، والسمين، عمدة الحفاظ: (وصد).

(10) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ولي).

عنه إذا أعرض أو نأى، وكذلك: (تَوَلَّى عَنْهُ)؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ يوسف: 84⁽¹⁾، ومعنى ﴿لَوَلَيْتَ مِنْهُمْ﴾: لرجعت وأدبرت وتباعدت⁽²⁾.

(8) ﴿فِرَارًا﴾: أصل الفِرَّ الكشفُ مع المفارقة والمباعدة، تقول: فَرَرْتُ عَنِ الدَّابَّةِ فِرَارًا إذا كشفتَ عن سِنِّها لتعرفَ كم عمرُها، والافتِرَارُ: ظُهُورُ السِّنِّ مِنَ الضَّحَكِ، بخفَّةٍ وإسراع، ومن هذا الأصلِ الفِرَارُ بمعنى الانكشاف بالهرب وبالتَّبَاعِدِ عَنْ مَوْضِعٍ⁽³⁾، قال تعالى: ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾⁽⁴⁾ [الذَّهَبُ: 51]، والفِرَارُ: الرَّوْغَانُ وَالْهَرْبُ مِنْ شَيْءٍ يُخَافُ⁽⁵⁾.

(9) ﴿وَلَمِّلْتُ﴾: أصل المَلَّ يدلُّ على تَجَمُّعِ الشَّيْءِ فِي أَثْنَاءِ زَمَانٍ أَوْ وِعَاءٍ، يُقَالُ: أَقَامَ مَلِيًّا، أي: دهرًا طويلاً، والمَلَاءَةُ: مَا يَمَلَأُ الْبَدَنَ، وَالْمَلَأُ: النَّاسُ وَالْجَمَاعَةُ يَجْتَمِعُونَ عَلَى رَأْيٍ⁽⁶⁾، وَالْمَلَّءُ: الْاسْمُ لِلْمَقْدَارِ الَّذِي يَمَلَأُ، وَسُمِّيَ بِهِ لِأَنَّهُ مُسَاوٍ لَوِعَائِهِ فِي قَدَرِهِ⁽⁷⁾، ومعنى: ﴿وَلَمِّلْتُ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾: (لاجتمع فيك الرعب).

(10) ﴿رُعْبًا﴾: (رعب) أصلٌ يدلُّ على امتلاء جوفِ شَيْءٍ طَرِيٍّ، فَالْسَّنَامُ الرَّعِيبُ: الممتلئ المرتج لشدة طراوته وامتلائه⁽⁸⁾، والرُّعْبُ والرُّعْبُ: الفزع، وهو أشدُّ الخوف⁽⁹⁾، قال تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ [الأحزاب: 26]، فيُقَالُ لِمَنْ خَافَ حَتَّى ارْتَعَدَتْ فَرَائِصُهُ: مَرَعُوبٌ وَرَعِيبٌ، لِأَنَّهُ امْتَلَأَ فَرَعًا حَتَّى اهْتَزَّ وَاضْطَرَبَ، فيقال: رَعَبَتْهُ فَرَعَبَ رُعْبًا، والرُّعْبُ: الانقطاع من امتلاء الخوف⁽¹⁰⁾، والمراد في الآية: الخوف الذي يملأ الجوفَ حَتَّى يظهر على البدن.

❁ المعنى الإجمالي:

يَبَيَّنُ الْآيَةُ حَالَةَ أَصْحَابِ الْكَهْفِ لَمَّا يَرَاهُمْ يَحْسِبُهُمْ فِي حَالٍ يَقْطَعُ: لَانْفِتَاحِ أَعْيُنِهِمْ

(1) الراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ، والزبيدي، تاج العروس: (ولي).

(2) معجم ألفاظ القرآن الكريم: (ولي).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ، وجبل، للعجم الاشتقاقي: (فرر).

(4) الزبيدي، تاج العروس: (فرر).

(5) جبل، للعجم الاشتقاقي: (ملأ).

(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ملأ).

(7) جبل، للعجم الاشتقاقي: (رعب).

(8) الزبيدي، تاج العروس: (رعب).

(9) الراغب، المفردات: (رعب)، والزمخشري، الكشاف: 709/2، والسمين، عمدة الحفاظ: (رعب).

أَصْحَابُ الْكَهْفِ
تَحَوُّطُهُمْ عَيْنَ
الرَّعَايَةِ الرَّبَّانِيَّةِ

وهم نيامٌ، كأنَّهم ينظرونَ إلى مَنْ أَمَامَهُمْ، وَنُحِرْكُ هَؤُلَاءِ الْفَتِيَّةَ فِي رَقَدَتِهِمْ مَرَّةً لِلجَنبِ الْأَيْمَنِ، وَمَرَّةً لِلجَنبِ الْأَيْسَرِ؛ كِي يَنَالَ النَّسِيمُ جَمِيعَ أَعْدَانِهِمْ، وَلَا يَتَأَثَّرَ مَا يَلِي الْأَرْضَ مِنْهَا بِطَوِيلِ الْمُكْثِ، وَكَلْبُهُمْ مُلْقٍ يَدِيهِ عَلَى الْأَرْضِ مَبْسُوطَتَيْنِ غَيْرَ مَقْبُوضَتَيْنِ بِفَنَاءِ الْكَهْفِ، لَوْ شَاهَدَتْهُمْ فِي رَقَدَتِهِمْ الَّتِي رَقَدُوهَا فِي الْكَهْفِ لِأَدْبَرَتْ عَنْهُمْ هَارِبًا فَارًّا مِنْهُمْ، وَلَمَلَّتْ نَفْسُكَ حِينَ أَطْلَاعَكَ عَلَيْهِمْ خَوْفًا وَفَزَعًا؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَلْبَسَهُمْ هَيْبَةً وَوَقَارًا؛ كِي لَا يَصِلَ إِلَيْهِمْ وَاصِلٌ، وَلَا يَلْمَسُهُمْ أَحَدٌ حَتَّى يَشَاءَ اللَّهُ⁽¹⁾.

وترشد الآيةُ الكريمةُ إلى بيان عَجِيبِ تَدْبِيرِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَصَرُّفِهِ فِي مَخْلُوقَاتِهِ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى حِفْظِهِمْ مِنَ الْأَرْضِ، مِنْ غَيْرِ تَقْلِيلٍ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى حَكِيمٌ، أَرَادَ أَنْ تَجْرِيَ سُنَّتُهُ فِي الْكَوْنِ، وَيَرْبُطَ الْأَسْبَابَ بِمَسَبِّبَاتِهَا، وَإِلَى أَنَّهُ إِذَا كَانَ بَعْضُ الْكِلَابِ قَدْ نَالَ هَذِهِ الدَّرَجَةَ الْعُلْيَا بِصَحْبَتِهِ وَمَخَالَطَتِهِ الصَّالِحِينَ وَالْأَوْلِيَاءِ حَتَّى أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ فِي كِتَابِهِ ﷺ، فَمَا ظَنُّكَ بِالْمُؤْمِنِينَ الْمُوَحِّدِينَ الْمَخَالَطِينَ الْمُحِبِّينَ لِلْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ؟⁽²⁾.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

سُرَّ التعبير بالواوِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾:

آثَرَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ التَّعْبِيرَ بِالْوَاوِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا﴾؛ لِتَعَدُّدِ مَعَانِيهَا بِنَاءً عَلَى الْإِخْتِلَافِ فِي إِعْرَابِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ﴾:

فَقِيلَ: هِيَ جُمْلَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ، وَلَيْسَ فِي الْكَلَامِ تَقْدِيرٌ⁽³⁾.

(1) المرآة، تفسير الرازي: 128 / 15.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 371 / 10، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن: 472، والجزائري، أيسر التفاسير: 245 / 3.

(3) أبو حيان، البحر المحيط: 153 / 7، والآلوسي، روح المعاني: 213 / 8.

تعدد معاني
الواو ثراءً
للمعنى

وقيل: في الكلام حذف تقديره: لو رأيتهم لحسبهم أيقاظاً⁽¹⁾.
 وقيل: الواو عاطفة لقوله: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ على بقية
 القصّة، وما بينهما - وهو قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ
 اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ - اعتراض⁽²⁾.

علة إثثار فعل الحُسابِ دون غيره:

آثر القرآن الكريم التعبير بالحُساب في قوله: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ﴾ دون
 الظن؛ لأن الحُساب تغليب أحد النقيضين على الآخر دون إخطار
 للآخر بالبال، فقوله: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاطًا﴾ مفاده أن الرائي إذا رآهم
 يحكم بأنهم أيقاظ، ولا يُخطِر في باله أنهم نيام؛ بخلاف التعبير
 بالظن؛ فإنه يطلق على ترجيح أحد الأمرين على الآخر، وهذا غير
 مراد هنا؛ لأن المشهد يعطي صورة اليقظة.

وأيضاً اختير فعل الحُساب دون الظن، ولم يُقل: (وتظنهم)؛
 ليكون في الكلام رائحة التشبيه، فقولك مثلاً: (حسبت زيداً في
 جراته الأسد، وعمراً في جوده الغمام) حاصله تشبيه زيد بالأسد
 وعمرو بالغمام، وحاصل ما في الآية تشبيه أهل الكهف في حال
 نومهم بالأيقاظ في بعض صفاتهم؛ لأنهم كانوا مفتحي العيون في
 حال نومهم⁽³⁾.

نكتة التعبير بصيغة المضارع في فعل الحُساب:

آثر القرآن الكريم التعبير بالمضارع في قوله سبحانه: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ
 أَيْقَاطًا﴾ دون الماضي؛ لأن المشهد صفة حال قد انقضت، وجاءت أفعالها
 مستقبلّة تجوّزاً واتساعاً⁽⁴⁾، للدلالة على أن ذلك يتكرر مدّة طويلة⁽⁵⁾.

إبراز أن في الكلام
رائحة التشبيه

الدلالة على تكرّر
هذا الأمر مدّة
لبثهم في الكهف

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 444 / 21.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 280 / 15.

(3) صافي، الجدول في إعراب القرآن الكريم: 156 / 8.

(4) ابن عطية، المحرر الوجيز: 503 / 3.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 280 / 15.

سرُّ عدم تعيينِ المخاطَبِ في ﴿وَتَحْسَبُهُمْ﴾:

احتمالُ الخطابِ
للعُمومِ
والخصوصِ

لم يعين القرآن الكريم المخاطَبَ في قوله جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾؛ لاحتماله للعموم والخصوص؛ فيمكن أن يكونَ خاصًّا للنَّبِيِّ ﷺ، أي: وتحسبُ يا مُحَمَّدُ⁽¹⁾، ويحتملُ أن يكونَ عامًّا لكلِّ أحدٍ، أي: وتحسبُ أيُّها المخاطَبُ⁽²⁾.

ومثْلُ ذلكَ يقالُ في المقطع الثاني من الآية الكريمة: ﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا﴾.

دلالة التعبير بالإضمار في ﴿وَتَحْسَبُهُمْ﴾:

الإشارةُ إلى حالة
رقود الفتية التي
تشبه النوم

آثر القرآن الكريم التعبير بالإضمار عن الفتية في ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾، ولم يقل: (وتحسبُ يا مُحَمَّدُ ﷺ، أو أيُّها المخاطَبُ الفتيةَ الَّذِيْنَ قَصَصْنَا عَلَيْكَ قِصَّتَهُمْ أَيْقَاطًا وَهُمْ نِيَامٌ)⁽³⁾؛ للإشارة إلى أنهم في موضع الخفاء؛ لأنهم في حالة الرقود التي تشبه النوم؛ فحالة الظهور غير مناسبة لهذا المشهد.

سر التعبير بجمع القلة ﴿أَيْقَاطًا﴾:

الدلالة على قلة
حركاتهم

آثر القرآن الكريم التعبير بجمع القلة ﴿أَيْقَاطًا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاطًا﴾: جمعٌ (يَقْطُ) بكسر القاف؛ ك (أنكاد) في (نَكِدُ)⁽⁴⁾، أو جمعٌ (يَقْطُ) بضم القاف⁽⁵⁾؛ للدلالة على أن الله ﷻ أراكمهم وكلَّ مخاطب أن حركاتهم قليلة المرات.

معنى الواوِ في قوله سبحانه: ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾:

الواوُ في قوله جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ للحال، أي: وتظنُّهم أَيْقَاطًا

(1) ابن جرير، جامع البيان: 623 / 17.

(2) الزمخشري، الكشاف: 708 / 2، وأبو حيان، البحر المحيط: 152 / 7.

(3) ابن جرير، جامع البيان: 623 / 17، والزمخشري، الكشاف: 708 / 2.

(4) الزمخشري، الكشاف: 708 / 2، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 280 / 15.

(5) السمين، الدر المنثور: 459 / 7، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 280 / 15.

تصوير مشهد حال الفتية في الكهف

لأنفتاح أعينهم والحال أنهم راقدون نائمون⁽¹⁾، وهذه الجملة تقرير لما لم يُذكر فيما سبق؛ اعتماداً على ذكره السابق في قوله ﷺ: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ﴾ [الكهف: 11]⁽²⁾.

وجه حسابانهم أيقاظاً مع أنهم رقود:

عبر القرآن الكريم عن وصف حال فتية الكهف لمن يراهم، يحسبهم أيقاظاً مع أنهم رقود لأنفتاح أعينهم، ومثل ذلك منشأ ظن أنهم أيقاظ أو لكثرة تقلبهم، وكثرة القلب توحى لمن يراهم اليقظة دون الرقود.

بلادة إثارة الرقود في قوله: ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾:

أوثر الرُقُود في قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ على الرقاد والهجوم والنوم؛ لما في لفظ الرقود من معنى يميزه عن بقية الألفاظ المشتركة معه في الحقل الدلالي التي سبق ذكرها، إذ إنه يطلق على المستطاب من النوم القليل، بخلاف الهجوم فيطلق على النوم ليلاً فقط، قال تعالى: ﴿كَأَنُومًا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: 17]، أما النوم فيطلق على معانٍ متعددة منها استرخاء أعصاب الدماغ برطوبات البخار الصاعد إليه، ويطلق على توفي الله الأنفس من غير موت، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [النم: 42]، وقيل للنوم موت خفيف، والموت نوم ثقيل⁽³⁾.

ومما يؤكد ذلك استعمال القرآن في التفريق بينهما، حيث جعل الرُقَادَ أَشَدَّ مِنَ النَّوْمِ؛ قال تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ [القلم: 19]، وقال: ﴿قَالُوا بَيَّوَّلْنَا مَن بَعَثْنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس: 52]⁽⁴⁾.

(1) الهري، حقائق الروح والريحان: 302 / 16.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 212 / 5.

(3) الراغب، المفردات: (نوم).

(4) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 82 / 3.

للبالغة في
وصفهم بالرقاد

سرُّ إثارة جمع الكثرة في ﴿رُقُودٌ﴾ دون جمع القلة:

آثر القرآن الكريم جمع الكثرة ﴿رُقُودٌ﴾ في قوله: ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ دون جمع القلة (راقدون)؛ للمبالغة في وصفهم بالرقاد؛ لأنه هو الآية المعجزة في قصتهم، والنوم هو الحقيقة التي قررها النظم القرآني من قبل في قوله: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ﴾ [الكهف: 11]؛ فبالغ في شدة النوم باستعارة الضرب له، أما اليقظة فهي حسابٌ وتخيُّلٌ يقع للرأي من انفتاح عيونهم وتقلُّبهم ذات اليمين وذات الشمال؛ لذلك ناسب استعمال جمع الكثرة ﴿رُقُودٌ﴾؛ للإيحاء بشدة نومهم الذي لا يقطع استغراقه حركة تقلبهم لتتجاوب مع الاستعارة في قوله: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ﴾ [الكهف: 11]، يؤكد ذلك ما قاله الزمخشري - ومن تبعه - : "أنماهم إنامة ثقيلة لا تنبهم فيها الأصوات" (1)، وبذلك تلقي صيغة جمع الكثرة مع القول بأن الرقود مصدرٌ أُطلق على الفاعل، واستوى فيه القليل والكثير؛ كركوع وقعود (2).

نكتة التعبير بالجملة الاسميَّة في قوله: ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾:

جاء في الإخبار عن نوم الفتية في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ بالجملة الاسميَّة دون الفعلية (يرقدون)؛ للدلالة على أنَّ نومهم دائمٌ مُستمرٌّ مدة لبثهم في الكهف (3)، ولو عبر بالفعلية التي تدلُّ على التجدد والحدوث لذهب المعنى الإعجازي الذي أراده القرآن من قوله: ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ بوصف الدوام والاستمرار.

دلالة تقديم المسند إليه في قوله: ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾:

قدَّم المسند إليه في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾؛ لتقوية الحكم لا للحصر (4).

نوم الفتية
ثابت ما لبثوا في
كهفهم

(1) الزمخشري، الكشاف: 705/2.

(2) الخضري، الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ، ص: 171.

(3) القونوي، حاشيته على تفسير البضاوي: 37/12.

(4) القونوي، حاشيته على تفسير البضاوي: 38/12.

بلغة الطباق بين الإيقاظ والرقود:

جُمِعَ بَيْنَ الإيقاظِ والرقودِ في قوله جَلَّ وعَزَّ: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾؛ لما في الجمعِ بينهما مِنْ صنعةِ الطباقِ، وهو مُحَسَّنٌ معنويٌّ للكلامِ، يرسمُ في ذهنِ السامعِ صورةَ نائمٍ يُظَنُّ أَنَّهُم بخلافِ ذلكَ، وفيه إبرازٌ وتجليةٌ لقدرةِ اللهِ الحافظِ لأوليائِهِ!

الجمع بين
معنيين
متقابلين

بلغة الإدماج في قوله: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾:

في قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ المعطوف على ما تقدَّم مِنْ تفاصيلِ القصَّةِ انتقالٌ إلى ما في حالِ الفتيةِ مِنَ العبرةِ لمنَ لوراهم مِنَ النَّاسِ، مُدْمَجٌ فِيهِ بيانُ كرامتهم على اللهِ، وعظيمِ قُدرةِ اللهِ في شأنِهِم، وهو تعجيبٌ للرَّائي مِنْ حالِهِم⁽¹⁾.

بيان كرامة
الفتية وعظيم
قُدرةِ الله في
شأنِهِم

معنى الواو في قوله جَلَّ شأنُهُ: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾:

اختلفَ في دلالةِ الواوِ في قوله جَلَّ وعَزَّ: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾:

تعدد معانيها
ثراءً للمعنى

فَقِيلَ: الواوُ استتفايَّةٌ، وقوله: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ خبرٌ مستأنَفٌ للإخبارِ بحالٍ جديدٍ من أحوالِهِم العجيبةِ⁽²⁾. وقيلَ: يجوزُ أَنْ تكونَ الواوُ للحالِ، وجملَةٌ ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ حاليَّةٌ أيضًا؛ كجملَةٍ ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾؛ وفائدتها بيانُ أَنَّ ظنَّ الرَّائي أَنَّهُم أيقاظٌ بسببِ كثرةِ تقلُّبِهِم⁽³⁾.

علة التعبير بالتقلب دون الحركة:

أثر القرآن الكريم التعبير بالتقلب في قوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾ دون الحركة؛ لأنَّ التقلبَ يطلق على صرفِ الشيء عن وجهه إلى وجهٍ آخر، كقلبِ الثوبِ وقلبِ الإنسانِ، أي صرفه عن طريقه، ويطلق

التقلب هو
المناسب حالة
الرقود في النوم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 15 / 280.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3 / 503، وأبو حيان، البحر الحيط: 7 / 153، والآلوسي، روح المعاني: 8 /

214.

(3) الطيبي، فتوح الغيب: 9 / 427.

على تغيير وضع الشيء من ظاهره إلى باطنه؛ بخلاف الحركة فإنها تطلق على انتقال الجسم من مكان إلى مكان، وهذا غير مراد في مشهد أصحاب الكهف، بل المراد صرفهم من ذات اليمين إلى ذات الشمال، وليس انتقالهم من المكان، ولأن التقلب هو المناسب مع حالة الرقود في النوم.

سرُّ التعبير بصيغة التفعيل مع المضارع في التقلب:

جاء بصيغة التفعيل في قوله ﷻ: ﴿وَنُقَلِّبُهمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾، ولم يُقَلَّ: (ونقلبهم) بالتخفيف؛ للدلالة على كثرة تقلبهم⁽¹⁾؛ لأن الغرض من هذا التقلب صيانة أجسادهم من أن تأكلها الأرض، وهذا يستدعي كثرة فعل ذلك بهم؛ لأن مدة لبثهم في الكهف كانت طويلة، ويُعزِّز ذلك استعمال صيغة المضارع ﴿وَنُقَلِّبُهمْ﴾ الدالة على الاستمرار التجددي⁽²⁾، وهذا التجدد بحسب الزمن المحكي، ولا يلزم أن يكونوا كذلك حين نزول الآية⁽³⁾.

دلالة إسناد التقلب إلى الله سبحانه بنون العظمة:

أُسند التقلب إلى الله سبحانه في ﴿وَنُقَلِّبُهمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ مقروناً بنون العظمة؛ لبيان مزيد اعتناء الله بشأن الفتية وحفظهم وصيانتهم عن الآفات التي تفسد أبدانهم على طول الزمان؛ فلو لم يقلُّوا لأكلتهم الأرض؛ لذلك أُسند التقلب إلى ذي العظمة والجلال ﷻ؛ لأنه هو الفاعل لذلك⁽⁴⁾ على الحقيقة، القادر على خلق التقلب لهم على صورته الحالية على الأسباب العادية، وفيه إشارة إلى أن رعاية الأسباب لا تعارض خوارق العادات.

وفيه دعوة إلى تعليم الإنسان كيف يتقى الأذى ويدفع الضرر عن

الدلالة على
كثرة التقلب
واستمراره
التجددي

بيان مزيد اعتناء
الله جلَّ شأنه
بأمر الفتية

(1) القنوني، حاشيته على تفسير البضاوي: 36 / 12، والواحي، البسيط: 557 / 13.

(2) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي: 82 / 6، والآلوسي، روح المعاني: 214 / 8.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 281 / 15.

(4) أبو حيان، البحر المحيط: 153 / 7، والبقاعي، نظم الدرر: 29 / 12.

نفسه، وهذا مأخوذ من حركة التقلب التي يلزم من تعبير القرآن عنها أنها كانت بمشهد من الخلق، وإلا لو كانت خفيةً فما الفائدة من إظهار هذه الخارقة؟.

سر إسناد التقلب إلى الفتية دون الكلب:

أسند القرآن الكريم التقلب إلى الفتية ولم يسند إلى الكلب؛ لبيان الفرق بين جسد الإنسان وجسد الكلب؛ فكل منهما خصائصه التي تميزه؛ فناسب مع الإنسان التقلب للحفاظ على جسده من العفونة والتحلل، أو ما يسمونه الآن حديثاً بـ"قرحة الفراش"؛ لذلك كان تقلب المريض الذي طال مرضه مطلب أساس للحفاظ عليه من قرحة الفراش؛ أما جسد الكلب فاكتشف العلم حديثاً وجود غدد في جسمه تساعد على المكث دون حركة مدة طويلة من الزمن⁽¹⁾.

دلالة اللام في قوله تعالى: ﴿ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾:

تحتل اللام في قوله سبحانه: ﴿ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ أن تكون عوضاً عن المضاف إليه، ويحتمل أن تكون للعهد، والمعنى على الوجهين: وَنُقَلِّبُهُمْ جَهَةً يَمِينَهُمْ وَجَهَةً شِمَالَهُمْ⁽²⁾، وليس المراد: جَهَةً يَمِينِ الْكَهْفِ وَجَهَةً شِمَالِهِ⁽³⁾، وحكمة ذلك: أَنَّ اللَّهَ أَجْرَى عَلَيْهِمْ حَالَ الْأَحْيَاءِ الْأَيْقَاطِ، فَجَعَلَهُمْ تَتَغَيَّرُ أَوْضَاعُهُمْ مِنْ أَيْمَانِهِمْ إِلَى شِمَائِلِهِمْ، وَمِنْ شِمَائِلِهِمْ إِلَى أَيْمَانِهِمْ؛ لَتَبْقَى أَجْسَامُهُمْ بِحَالَةٍ سَلَامَةٍ⁽⁴⁾.

بلادة الإيجاز في قوله: ﴿ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾:

في قوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ إيجازٌ بالحذف؛ لأنَّ ﴿ذَاتَ﴾ بمعنى صاحبة، وهي صفةٌ محذوفٌ يدلُّ عليه

الحفاظ على
أجسادهم،
وخصائص
جسم الكلب
تمنع تحلله

اللام عوض عن
المضاف إليه، أو
للعهد

الاستغناء
بالصفة عن
الموصوف

(1) موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي.

(2) القنوني، حاشيته على تفسير البيضاوي: 37/12.

(3) الهرري، حقائق الروح والرياح: 303/16.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 281/15.

الكلام، والتقدير - كأنه قيل - : وَنُقَلِّبُهُمْ جَهَةً صَاحِبَةَ الْيَمِينِ وَجَهَةً صَاحِبَةَ الشَّمَالِ.

بلغة الطباق بين ﴿ذَاتِ الْيَمِينِ﴾ و﴿ذَاتِ الشَّمَالِ﴾:

جُمِعَ بَيْنَ جَهَتَيِ الْيَمِينِ وَالشَّمَالِ فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ﴾؛ مراعاةً مُحَسِّنٍ معنويٍّ؛ وهو الطَّبَاقُ بينهما؛ ليقعَ في ذهنِ السَّامِعِ عِنْدَ تَصَوُّرِ صُورَةِ تَقْلِيْبِ الْفَتِيَةِ مَعْنِيَانِ مُتَقَابِلَانِ، أَحَدُهُمَا الْجَهَةُ الْوَاقِعَةُ عَنْ امْتِدَادِ أَيْمَانِهِمْ، وَالْآخَرُ الْجَهَةُ الْوَاقِعَةُ عَنْ امْتِدَادِ شَمَائِلِهِمْ.

معنى الواو في قوله: ﴿وَكَلْبُهُمْ﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ للحال، والمعنى: وَنُقَلِّبُ أَجْسَادَهُمْ جَهَةً أَيْمَانِهِمْ وَجَهَةً شَمَائِلِهِمْ، والحالُ أَنَّ كَلْبَهُمْ بِاسِطٌ ذِرَاعِيهِ عِنْدَ بَابِ الْكَهْفِ وَفَنَائِهِ.

دلالة وصف الكلب ببسط ذراعيه:

دَلَّ وَصْفُ الْكَلْبِ بِبَسْطِ ذِرَاعِيهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ﴾ عَلَى الْعِنَايَةِ بِهِمْ؛ فَكَمَا حَفَظَهُمُ اللَّهُ بِالتَّقْلِيْبِ عَنْ إِهْلَاكِ الْأَرْضِ، حَفَظَهُمُ عَنْ الْأَعْدَاءِ بِكَلْبٍ⁽¹⁾.

غرض إضافة الكلب إلى الفتية في قوله: ﴿وَكَلْبُهُمْ﴾:

اخْتَلَفَ فِي وَجْهِ إِضَافَةِ الْكَلْبِ إِلَى الْفَتِيَةِ فِي قَوْلِهِ عَزَّ سُلْطَانُهُ: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ مِنْ نَاحِيَةِ مَلَكَتِهِ وَعَدَمِهَا: فَقِيلَ: هُوَ كَلْبٌ مَرَّوَا بِهِ، فَتَبِعَهُمْ فَطَرُودُهُ مَرَارًا فَلَمْ يَرْجَعْ، فَأَنْطَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَقَالَ: لَا تَخْشَوْا جَانِبِي؛ فَإِنِّي أَحَبُّ أَحْبَاءِ اللَّهِ، فَتَامُوا حَتَّى أَحْرَسَكُمْ، وَقِيلَ: هُوَ كَلْبٌ رَاعٍ قَدْ تَبِعَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ⁽²⁾، وَقِيلَ:

إبراز المعنى
وتصويره في
ذهن السامع

بيان حال الكلب
عند حراستهم
وهم نيام

الدلالة على أن
من أحب أهل
الخير نال من
بركة صحبتهم

(1) القاسمي، محاسن التأويل: 7 / 13.

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3 / 276.

كَلْبٌ صِيدَ أَحَدِهِمْ أَوْ زَرَعِهِ أَوْ غَنَمِهِ⁽¹⁾، والإضافةُ في جميعِ الأقوالِ
لأدنى ملائسةٍ.

وَمِنْ لَطَائِفِ صُحْبَةِ الْكَلْبِ لَهُمْ: أَنَّ مَنْ أَحَبَّ أَهْلَ الْخَيْرِ نَالَ مِنْ
بِرْكِهِمْ، فهذا كَلْبٌ أَحَبَّ أَهْلَ فَضْلِ وَصَحْبِهِمْ فَذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ⁽²⁾،
فَاعْظَمْ بِإِضَافَةِ الْكَلْبِ إِلَيْهِمْ!

سر التعبير بالاسمية في ﴿بَسِطْ﴾:

آثر القرآن الكريم التعبير بالاسمية في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّبْهُمْ
بَسِطْ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾، دون التعبير بالفعلية (بيسط)؛ للوظيفة
المنوطة بالكلب من ناحية الحماية والحراسة لهم من الأعداء؛ فلو
عبر بالفعل (بيسط) لم يؤد الغرض المطلوب من وجوده؛ لأن الفعل
يدل على التجدد في الحركة، ومعنى ذلك أن الكلب يبسط ذراعيه
مرة بعد مرة، وهذا غير مراد؛ لأنه يلفت نظر الأعداء لهؤلاء الفتية؛
أما التعبير بالاسمية فهو مشعرٌ بثبات الصفة واستمرارها، وهذا
معنى مقصود في الحفاظ على الفتية.

التعبير
بالاسمية مشعرٌ
بثبات الصفة
واستمرارها

سبب إعمال ﴿بَسِطْ﴾ في ﴿ذِرَاعَيْهِ﴾:

الأصل في اسم الفاعل عند كثيرٍ مِنَ النُّحَاةِ: أَنَّهُ لَا يَعْمَلُ إِذَا كَانَ
بمعنى الماضي أو الاستمرار، وأما في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّبْهُمْ بَسِطْ
ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾؛ فقد أُعْمِلَ ﴿بَسِطْ﴾، ونصب ﴿ذِرَاعَيْهِ﴾؛ لَأَنَّهُ
لحكاية الحال الماضية⁽³⁾.

حكاية الحال
الماضية وتحققها

ومعنى حكاية الحال الماضية عند النُّحَاةِ: أَنَّ الْقِصَّةَ الْمَاضِيَةَ
كَأَنَّهَا عُبِّرَ عَنْهَا فِي وَقْعِهَا بِصِيغَةِ الْمُضَارِعِ كَمَا هُوَ حَقُّهَا، ثُمَّ حُكِّتْ
تِلْكَ الصِّيغَةُ بَعْدَ مُضِيِّهَا⁽⁴⁾.

(1) ابن جرير، جامع البيان: 624 / 17، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 212 / 5.

(2) ابن عطية، للحرر الوجيز: 504 / 3، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 144 / 5.

(3) الزمخشري، الكشاف: 709 / 2، وابن عطية، للحرر الوجيز: 504 / 3، والبيضاوي، أنوار التنزيل:

276 / 3.

(4) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 38 / 12.

بيان الهيئة التي
يكون عليها
الكلب عند
الحراسة

سرّ تخصيص الذراعين بالذكر دون باقي أعضاء الكلب:

ذَكَرَ الذَّرَاعَانِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾⁽¹⁾
دون باقي أعضاء الكلب؛ لأنَّ المقصود الإشارة إلى أَنَّهُ كَانَ حَارِسًا
لَهُمْ، وَالْكَلْبُ يَبْسُطُ ذِرَاعِيهِ عَادَةً عِنْدَ الْحِرَاسَةِ⁽²⁾، وَفِي ذِكْرِهِمَا
رَدُّ لِقَوْلِ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِالْكَلْبِ: رَجُلٌ مِنْهُمْ قَعَدَ عِنْدَ بَابِ الْغَارِ
حَارِسًا لَهُمْ، فَسَمِّيَ بِاسْمِ الْحَيَوَانِ اللَّازِمِ لَذَلِكَ الْمَوْضِعِ مَجَازًا،
وَوَجْهُ الرَّدِّ: أَنَّ بَسَطَ الذَّرَاعَيْنِ فِي الْعُرْفِ مِنْ صِفَةِ الْكَلْبِ حَقِيقَةٌ⁽³⁾.

وجه التعبير بالوصيد دون غيره:

عبر القرآن الكريم بالوصيد في قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَسِطٌ
ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾، دون غيره؛ لتعدد المعاني التي يحتملها لفظ
الوصيد؛ فيطلق على الباب، وعلى عتبة الباب، ويطلق على مجرد
الفناء داخل الكهف، ويترتب على ذلك تحديد موضع الكلب؛ فإذا
كان الوصيد هو عتبة الباب؛ فالكلب يكون داخل باب الغار، وإن كان
المراد به الفناء؛ فالكلب يكون خارج باب الغار؛ لهذه المعاني كان
التعبير بالوصيد هو المناسب للسياق⁽⁴⁾.

بلغة الاستعارة في قوله: ﴿بِالْوَصِيدِ﴾:

استُعِيرَ الْوَصِيدُ فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾
لِمُدْخَلِ الْكَهْفِ؛ لِأَنَّ الْكَهْفَ لَا يَكُونُ لَهُ بَابٌ وَلَا عَتَبَةٌ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ مَوْضِعُ
الدُّخُولِ مِنْهُ⁽⁵⁾، شَبَّهَ بِالْبَابِ الَّذِي هُوَ الْوَصِيدُ؛ لِأَنَّهُ يَوْصَدُ وَيُعْلَقُ⁽⁶⁾.

نكتة التعبير بـ ﴿لَوْ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَظْلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾:

عُبرَ بـ ﴿لَوْ﴾ فِي قَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿لَوْ أَظْلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتُ مِنْهُمْ

امتناع التَّوَلَّى
لامتناع الاطّاع

(1) الشنقيطي، أضواء البيان: 3/ 225.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 10/ 372، والشنقيطي، أضواء البيان: 3/ 225.

(3) اللاتريدي، تأويلات أهل السنة: 7/ 150.

(4) ابن عادل، اللباب: 12/ 445.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 281.

فِرَارًا، ولم يُقَلْ مثلاً: (إذا أَطْلَعْتَ)؛ لأنها حرفٌ امتناعٌ لامتناعٍ، فتفيدُ في هذا المقامِ أَنَّ التَّوَلَّى فِرَارًا لم يَقَعْ؛ لأنَّ الاطِّلاعَ على الفتيةِ وهم نائمونَ بهيئَتِهِم الَّتِي يَكْسُوها الهَيْبَةُ والوقارُ لم يَقَعْ؛ لأنَّ الكلامَ عن قِصَّةٍ خَلَّتْ في القُرُونِ السَّالِفَةِ، ولا يُتَصَوَّرُ مِنَ المَخاطِبِ الاطِّلاعُ عليها حقيقةً.

علة التعبير بالفعل الماضي ﴿أَطْلَعْتَ﴾:

عُبِّرَ بالفعلِ الماضي في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾؛ لأنَّ (لو) للشرطِ في الماضي، فيلزمُ في جملتيها الفعليةُ الماضيةُ⁽¹⁾، أي: لو أَطْلَعْتَ عليهم حينَ كانوا في تلكِ الحالةِ قبلَ أَنْ يبعثَهُم اللهُ لهربَتِ مِنْ شِدَّةِ الخوفِ، ولا ممتلاً قلبك هلعاً وفزعاً⁽²⁾.

سر اصطفاء الفعل ﴿أَطْلَعْتَ﴾:

في التعبيرِ بالفعلِ ﴿أَطْلَعْتَ﴾ في قوله ﷺ: ﴿لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ بلاغةٌ مِنْ وجوهٍ: أحدها: أَنَّ الاطِّلاعَ في الأصلِ: الإشرافُ على الشَّيءِ ورؤيته مِنْ مكانٍ مرتفعٍ⁽³⁾، لأنَّه اِفْتِعَالٌ مِنْ طَلَعَ إذا ارتقى جبلاً، فصيغُ الافتعالِ للمبالغةِ في الارتقاء⁽⁴⁾.

وثانيها: أَنَّهُ ضُمِّنَ معنى الإشرافِ، فُعِدِّي بـ(على)⁽⁵⁾.

وثالثها: أَنَّهُ اسْتُعْمِلَ مجازاً مشهوراً في رؤيةِ الشَّيءِ الَّذِي لا يراه أحدٌ⁽⁶⁾.

مراعاة
الاستعمال
اللغوي لـ(لو)

تنوُّع وجوه
بلاغته مِنْ
حيث الصيغة
والتَّضمين
والجواز

(1) التفازاني، المختصر، ص: 284.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 281.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 213.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 282.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 282.

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 282.

سر تقديم ﴿مِنْهُمْ﴾ على ﴿فَرَارًا﴾:

تعجيل ذكر
المخوف منه

لَمَّا كَانَ حَالُ الْفَتِيَةِ وَهُمْ رُقُودٌ فِي كَهْفِهِمْ عَلَى دَرَجَةٍ عَظِيمَةٍ مِنَ الْهَيْبَةِ وَالْإِخَافَةِ، بَحِثُ لَوْ أَطْلَعَ أَحَدٌ عَلَى شَأْنِهِمْ، وَرَأَاهُمْ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ لِأَخْذِ الْهَلَعِ وَالْفَزَعِ بِمَجَامِعِ قَلْبِهِ - بُولَغَ فِي إِفَادَةِ أَنَّ الرَّائِيَ لَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ رُؤْيَتِهِمْ عَنِ الْهَرَبِ، وَذَلِكَ بِتَقْدِيمِ الْمَخَوْفِ مِنْهُ الْمُعْبَرُ عَنْهُ بِـ ﴿مِنْهُمْ﴾ الْمَفِيدِ تَعْجِيلِ الْمَسَاءَةِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾.

سر الجمع بين التولي والفرار:

الفرار نوع من
التولية، فبينهما
عموم وخصوص

جمع القرآن الكريم بين التولي والفرار في قوله تعالى: ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾؛ لتأكيد وصف هذه الحالة التي تعتري من يطلع عليهم لو أطلع؛ لأن الفرار نوع من التولية؛ فبينهما عموم وخصوص من وجه، وهذا مادة الاجتماع في التحقق، ومادة الافتراق تولي الظهر بلا فرار، والفرار حين المواجهة بدون تولي الظهر⁽¹⁾.

إعراب ﴿فَرَارًا﴾ وأثره في المعنى:

نُصِبَ (فَرَارًا)
على المصدرية
أو الحالية أو
مفعولٍ له

يَحْتَمِلُ ﴿فَرَارًا﴾ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ وَجْهًا مِّنَ الْإِعْرَابِ، مِنْهَا: أَنَّهُ مَنْصُوبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ لِبَيَانِ النَّوعِ؛ لِأَنَّ مَعْنَى ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ﴾: لَفَرَرْتُ مِنْهُمْ⁽²⁾، فَالتولي والفرار من واد واحد، وَهُوَ كَقَوْلِكَ: قَعَدْتُ جُلُوسًا⁽³⁾، وَمِنْ وَجْهِ الْإِعْرَابِ: أَنَّهُ حَالٌ⁽⁴⁾؛ أَي: (لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فَرَارًا)، وَتَكُونُ الْحَالُ مُؤَكَّدَةً⁽⁵⁾؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا﴾ [النمل: 19]⁽⁶⁾، وَتُعْرَبُ أَيْضًا: مَفْعُولٌ لَهُ⁽⁷⁾؛ لِأَنَّ التَّوَلَّى بِمَعْنَى الرُّجُوعِ⁽⁸⁾.

(1) القنوني، حاشيته على تفسير البضاوي: 39/ 12.

(2) الزجاج، معاني القرآن: 275/ 3، والواحدي، البسيط: 563/ 13.

(3) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي: 82/ 6.

(4) البضاوي، أنوار التنزيل: 276/ 3.

(5) السمين، الدر المصون: 461/ 7.

(6) الخفاجي، عناية القاضي: 82/ 6.

(7) البضاوي، أنوار التنزيل: 276/ 3، وأبو حيان، البحر المحيط: 154/ 7.

(8) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي: 82/ 6.

نكتة التعبير بالفرار دون الهروب:

أثر القرآن الكريم التعبير بالفرار في قوله تعالى: ﴿لَوَلَّيْتُ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ دون (هروباً)؛ لوجود فرق بينهما؛ فالفرار يكون مع الخوف؛ بخلاف الهروب فقد يكون مع خوف أو دون خوف؛ يؤكد هذا استعمال القرآن الكريم ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ [الشعراء: 21]؛ فذكر سبب الفرار بالخوف؛ بخلاف الهروب الذي ورد ذكره في قوله تعالى في سورة الجن بقوله: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ [الجن: 12].

تصوير الهيئة
الخيفة لأصحاب
الكهف

معنى الواو في ﴿وَلَمِلْتُ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾:

يفيد مجموع قوله جل شأنه: ﴿لَوِ أَطْلَعْتُ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتُ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ أنَّ الرائي لو أطلع على أهل الكهف وهم نائمون لترتب على ذلك أمران؛ وهما توليهِ فارًّا، وامتلاء قلبه رُعْبًا، وكلاهما ممتنع لامتناع فعل الشرط؛ وهو ﴿أَطْلَعْتُ﴾ الواقع بعد ﴿لَوِ﴾، وقد دلَّ على هذا التشريك في الحكم بينهما واو العطف.

الاشتراك بين
قوله ﴿وَلَمِلْتُ﴾
﴿مِنْهُمْ رُعْبًا﴾
وقوله (لوليت
منهم فراراً)

معنى القراءات في قوله تعالى: ﴿وَلَمِلْتُ﴾:

قُرئ قوله جل شأنه: ﴿وَلَمِلْتُ﴾ بقراءتين في المتواتر: إحداهما: بتشديد اللام ﴿وَلَمِلْتُ﴾، وهي قراءة نافع وأبي جعفر وابن كثير، والثانية: بتخفيف اللام، وهي قراءة الباقيين⁽¹⁾.
والمعنى واحدٌ إلا أنَّ في التشديد مبالغة في الملء⁽²⁾، كأنه قيل: مِلْتُ ثُمَّ مِلْتُ ثُمَّ مِلْتُ⁽³⁾.

إبراز المبالغة في
الفعل مع تعدد
اللغات

بلاغة الاستعارة في ﴿وَلَمِلْتُ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾:

تظهر بلاغة الاستعارة التمثيلية في قوله تعالى: ﴿وَلَمِلْتُ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾

إبراز المعنى
المعقول في صورة
المحسوس

(1) ابن الجزي، النشر: 2/ 310، والقاضي، البدور الزاهرة، ص: 191.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 21/ 444.

(3) ابن عطية، للحرر الوجيز: 3/ 504.

رُعْبًا في تمثيل الصفة النفسية بالمظروف، ومثّل عقل الإنسان بالظرف، ومثّل تمكّن الصفة من النفس بملء الظرف بالمظروف؛ فكان في قوله جلّ وعزّ: **﴿وَلَمِلْتُمْ مِنْهُمْ رُعبًا﴾** استعارة تمثيلية⁽¹⁾، كأنّ الرائي ملئ رُعبًا من قرنه إلى قدمه⁽²⁾.

نكتة تقديم **﴿مِنْهُمْ﴾** على **﴿رُعبًا﴾**:

زيادة التّهويل
والتهويل

قدّم **﴿مِنْهُمْ﴾** على **﴿رُعبًا﴾** في قوله سبحانه: **﴿وَلَمِلْتُمْ مِنْهُمْ رُعبًا﴾**؛ لأنّ المقام مقام تهويل لحال الفتية وهم رُقود في كهفهم، فبولغ أولاً في إفادة أنّ الرائي لهم لا يملك نفسه عن الهرب من شدّة الخوف، فقيل: **﴿لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾** بتقديم المخوف منه المعبر عنه بـ **﴿مِنْهُمْ﴾**، ثمّ زيدت المبالغة ببيان أنّ الرائي لهم تملأ نفسه بالهلع والفرع، فقيل: **﴿وَلَمِلْتُمْ مِنْهُمْ رُعبًا﴾** بتقديم المرعب المعبر عنه بـ **﴿مِنْهُمْ﴾**؛ ليفيد هذا التقديم مفاجأة نفس الرائي بالدُّعْر في أوّل لحظات وقوع عينه عليهم وهم على هذا الحال المهيب، إضافة إلى أنّ هذا التقديم يترتب عليه مراعاة تلاؤم الفواصل.

بلاغة تكرار **﴿مِنْهُمْ﴾**:

زيادة تأكيد
حصول الخوف
والهلع للمُطَّلِع
على الفتية وهم
رُقود

كرّر الجارّ والمجرور **﴿مِنْهُمْ﴾** في قوله ﷻ: **﴿لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمِلْتُمْ مِنْهُمْ رُعبًا﴾**؛ لتأكيد حصول الخوف والهلع للمُطَّلِع على الفتية وهم رُقود في كهفهم؛ لأنّ هذا التكرار أفاد أنّ هيئتهم باعث له على الهرب فرعاً، و باعث له على الهلع الشديد الذي يأخذ بمجامع القلب والنفس.

إعراب **﴿رُعبًا﴾** وأثره في المعنى:

يحتمل **﴿رُعبًا﴾** في قوله ﷻ: **﴿وَلَمِلْتُمْ مِنْهُمْ رُعبًا﴾** أن يكون

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 282 / 15.

(2) القونوي، حاشيته على تفسير البضاوي: 39 / 12.

ثراء المعنى
بحصول
التفصيل بعد
الإجمال

مفعولاً ثانياً لـ ﴿وَلَمِّلْتُ﴾⁽¹⁾، ويحتمل أن يكون تمييزاً، وهو تمييزٌ نسبةً مُحَوَّلٌ عن الفاعل⁽²⁾ إذ تقديره: وَلَمِّلَى رُعْبُكَ، على أن الإسناد مجازٌ عقليٌّ؛ مثل: سَيْلٌ مُفْعَمٌ⁽³⁾، وهذا الإعراب اشتمل على نكتٍ، منها التفصيل بعد الإجمال على نصب ﴿رُعْبًا﴾ في قوله جل شأنه: ﴿وَلَمِّلْتُ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ على التمييز، وهو تمييزٌ نسبةً مُحَوَّلٌ عن الفاعل في المعنى⁽⁴⁾؛ لأنَّ الرُّعْبَ هو الذي يملأ - وكونُ الرُّعْبِ يملأُ مجازٌ عقليٌّ مشهورٌ لإفادة عظمه؛ كما يقال في الحُسْنِ: إِنَّهُ يملأُ العُيُونُ⁽⁵⁾ - فلما بُنِيَ الفعل لما لم يسمَّ فاعله؛ لقصد الإجمال ثم التفصيل صار ما حقه أن يكون فاعلاً تمييزاً، وهو إسنادٌ بديعٌ حصلَ منه التفصيل بعد الإجمال⁽⁶⁾.

نكتة تأخير ملء الرعب عن التولية بالفرار:

تأخير قوله تعالى: ﴿وَلَمِّلْتُ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ عن قوله: ﴿لَوَلَّيْتُ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ دون العكس؛ للإيدان باستقلال كلٍّ منهما في الترتيب على الأطلاق؛ إذ لوروعي ترتيب الوجود - وهو المملء رُعْبًا ثم الفِرَارُ - لتبادر إلى الفهم ترتب المجموع من حيث هو هو عليه، وللإشعار بعدم زوال الرُّعْبِ بالفرار كما هو المعتاد⁽⁷⁾، وفي ذلك إشارة لشدة الخوف منهم؛ لأنَّ الهارب من شيءٍ مخوفٍ إذا بُعدَ عنه اطمأنت نفسه، وأمن من خوفه، والهابِط منهم لا يزال مرعوباً؛ فالرُّعْبُ منهم سابقٌ على القرب منهم ومتأخِّرٌ عنه⁽⁸⁾.

الرُّعْبُ مِنَ
الفتية سابق
على القرب
منهم ومتأخِّر
عنه

(1) السمين، الدر للصون: 461/7، والآلوسي، روح المعاني: 216/8.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 216/8، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 283/15.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 39/12.
(4) أبو حيان، البحر المحيط: 154/7.
(5) الشهاب الخفاجي، غناية القاضي: 82/6، والآلوسي، روح المعاني: 216/8.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 283/15.
(7) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 213/5.
(8) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 82/3.

سر التعبير بالرعب دون الخوف:

تصويرُ الرعب
الناجم عن شدة
الخوف من هيئة
أصحاب الكهف

آثر السياق الكريمُ التعبير بالرعب دون الخوف؛ لوجود فرق بينهما؛ فالرعب هو الخوف الذي يملأ الصدر والقلب، بخلاف الخوف؛ فهو توقع مكروه في المستقبل عن أمارة مظنونة أو معلومة، والمناسب هنا هو التعبير بالرعب الناتج عن شدة الخوف بسبب الهيئة التي هم عليها، والهيئة التي ألبسهم الله إياها من عظيم خلقتهم وانفتاح عيونهم.

نكتة تنكير ﴿رُعْبًا﴾:

التَّهْوِيلُ
والتعظيم لهيئة
الفتية

لَمَّا كَانَ الْمَقَامُ مَقَامَ تَهْوِيلٍ وَتَعْظِيمٍ لِهَيْئَةِ الْفَتِيَةِ وَهُمْ رُقُودٌ فِي كَهْفِهِمْ، وَبَوَلَّغَ فِي إِفَادَةِ شِدَّةِ اسْتِيلَاءِ هَيْبَتِهِمْ عَلَى قَلْبِ الْمُطَّلَعِ عَلَيْهِمْ - كَانَ مِنْ جَمَلَةِ عَنَاصِرِ التَّهْوِيلِ تَنْكِيرُ ﴿رُعْبًا﴾ فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿وَلَمَّا لَمِثْتُ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾؛ لِمَا يُفِيدُهُ هَذَا التَّنْكِيرُ مِنْ أَنَّ الرُّعْبَ الَّذِي يَغْمُرُ نَفْسَ الرَّائِي رُعْبٌ عَظِيمٌ الشَّانِ لَا يُقَادَرُ قَدْرُ هَوْلِهِ وَفُضَاعَتِهِ، فَهُوَ كَالسَّيْلِ الْعَرِمِ يَجْتَاحُ عَقْلَ الرَّائِي وَقَلْبَهُ وَنَفْسَهُ، وَيَفِيضُ مِنْ جَوَانِحِهِ.

❁ الفروق المَجْمِيَّةُ:

الحُسْبَانُ وَالظَّنُّ:

الظَّنُّ فِيهِ تَغْلِيْبُ
لأحدِ النَّقِيزِيْنِ
على الآخرِ،
والْحُسْبَانُ لَا
تَغْلِيْبُ فِيهِ

فُرِّقَ بَيْنَ الْحُسْبَانِ وَالظَّنِّ: بِأَنَّ الْحُسْبَانَ: أَنْ يَحْكَمَ لِأَحَدِ النَّقِيزِيْنِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُخْطَرَ الْآخَرُ بِيَالِهِ، وَالظَّنُّ: أَنْ يُخْطَرَ النَّقِيزِيْنِ بِيَالِهِ، فَيُغْلَبُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ⁽¹⁾.

اليَقَظَةُ وَالصَّخْوُ:

الصَّخْوُ أَعْمُ مِنَ
اليَقَظَةِ

الصَّخْوُ أَعْمُ مِنَ الْيَقَظَةِ؛ فَكُلَاهُمَا يُطْلَقُ عَلَى التَّنَبُّهِ مِنَ النَّوْمِ، وَيَنْفَرِدُ الصَّخْوُ بِأَنَّهُ يُطْلَقُ عَلَى الْإِفَاقَةِ مِنَ السُّكْرِ⁽²⁾.

(1) الرأغب، المفردات: (حسب).

(2) الزبيدي، تاج العروس: (يقظ)، (صحو).

الرُّقَادُ وَالْهُجُوعُ وَالنَّوْمُ:

فَرَّقَ بَيْنَ الرُّقَادِ وَالْهُجُوعِ وَالنَّوْمِ: بَأَنَّ الْهُجُوعَ: النَّوْمُ لَيْلًا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الذاريات: 17]⁽¹⁾، وَقَدْ يَكُونُ الْهُجُوعُ بغيرِ نَوْمٍ، وَالرُّقَادُ: الْمُسْتَطَابُ مِنَ النَّوْمِ الْقَلِيلِ⁽²⁾، وَالنَّوْمُ: أَعْمُ مِنْهُمَا؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، قَلِيلًا وَكَثِيرًا.

النَّوْمُ أَعْمُ مِنَ
الرُّقَادِ وَالْهُجُوعِ

الْهَرَبُ وَالْفِرَارُ:

الْفِرَارُ: الرَّوْغَانُ وَالْهَرَبُ مِنْ شَيْءٍ خَافَهُ، وَالْهَرَبُ قَدْ يَكُونُ مَعَ خَوْفٍ، وَقَدْ يَكُونُ دُونَ خَوْفٍ⁽³⁾، هَذَا بِحَسَبِ الْأَصْلِ، أَمَّا فِي اسْتِعْمَالَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فَقَدْ اقْتَرَنَ الْخَوْفُ بِكُلِّ مِنْهُمَا؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَنْ نُعْجزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾ [الجن: 12]، وَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ﴾ [الأحزاب: 16]، وَقَوْلِهِ: ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْ﴾ [الشعراء: 21]، وَقَوْلِهِ: ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾ [الدثر: 51]، وَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ إِنْ أَلَمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ [الجمعة: 8].

الْفِرَارُ يَكُونُ مَعَ
خَوْفٍ، وَالْهَرَبُ
يَكُونُ مَعَ خَوْفٍ
وَدُونَ خَوْفٍ

الرُّغْبُ وَالْخَوْفُ وَالْفَزَعُ وَالْهَلَعُ:

اخْتَلَفَ فِي مَعَانِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ، وَمِنْ جَمَلَةٍ مَا قِيلَ:
الرُّغْبُ: هُوَ الْخَوْفُ الَّذِي يَمَلَأُ الصَّدْرَ وَالْقَلْبَ، وَقِيلَ: هُوَ أَشَدُّ الْخَوْفِ⁽⁴⁾.
وَالْخَوْفُ: تَوَقُّعُ مَكْرُوهِ عَنْ أَمَارَةٍ مَظْنُونَةٍ أَوْ مَعْلُومَةٍ⁽⁵⁾.
وَالْهَلَعُ: الْجَزَعُ وَقَلَّةُ الصَّبْرِ، وَقِيلَ: هُوَ أَسْوَأُ الْجَزَعِ⁽⁶⁾.
وَالْفَزَعُ: انْقِبَاضُ يَعْتَرِي الْإِنْسَانَ مِنَ الشَّيْءِ الْمُخِيفِ، وَقِيلَ: هُوَ الْخَوْفُ الشَّدِيدُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: 103]⁽⁷⁾.

الرُّغْبُ وَالْهَلَعُ
وَالْفَزَعُ مَرَاتِبُ
عَالِيَةٍ مِنَ
الْخَوْفِ

(1) الزبيدي، تاج العروس: (هجع).

(2) الراغب، المفردات: (رقد).

(3) الزبيدي، تاج العروس: (فر)، (هرب).

(4) الزبيدي، تاج العروس: (رعب).

(5) الراغب، المفردات: (خوف).

(6) الزبيدي، تاج العروس: (هلع).

(7) معجم الفروق اللغوية، ص: 404.

وَالنَّاظِرُ فِي هَذِهِ الْمَعَانِي يَلْحِظُ أَنَّ بَيْنَهَا تَقَارُبًا، وَأَنَّ الرُّعْبَ وَالْهَلَعَ وَالْفَزَعَ مَرَاتِبُ
عَالِيَّةٌ مِنَ الْخَوْفِ، وَأَنَّ الْخَوْفَ مَبْنِيٌّ عَلَى تَوَقُّعٍ مَكْرُوهٍ، وَالْبَوَاقِي مَبْنِيَّةٌ عَلَى مَفَاجَأَةِ شَيْءٍ
مُخِيفٍ؛ كَهُجُومِ غَارَةٍ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ⁽¹⁾.

(1) معجم الفروق اللغوية، ص: 404.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.
مج. 29، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-768-26-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 29: المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-768-26-5

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-6484549 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»